ومن جهة اخرى ، افلح محمد الخامس في استرجاع اربع قواعد بحرية كانت الولايات المتحدة قد حصلت عليها إبان فترة الحماية . وفي ٢٦ شباط عام ١٩٦١ توفي محمد الخامس ، ونصب الحسن الثاني خلفاً له . (١١٤)

١ ـ نشاط الحركة الوطنية في منطقة الاحتلال الاسبانية : ـ

واجه الاسبان مقاومة مسلحة ضارية ، حمل لواءها محمد بن احمد الريسولي منذ عام ١٩١١ وحتى ظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي في عام ١٩٢١ . ولو ان نشاط المقاومة كان قد توقف لفترة قصيرة ابان الحرب العالمية الاولى ، حين عقدت اسبانيا هدنة مع الريسولي في عام ١٩١٦ . ثم ما لبثت المقاومة ان استأنفت نشاطها عقب انتهاء الحرب ، على اثر اعتزام اسبانيا اكمال احتلالها للمنطقة . وبالرغم من ان اسبانيا كانت قد نجحت في اواخر عام ١٩٢٠ في احتلال ششوان ، كبرى مدن جبال الريف ، لكن الريسولي استمر في التعرض للقوات الاسبانية ، وتكبيدها خسائر جسيمة ، حتى بدأ نفوذ الخطابي يمتد الى جبال الريف .

أ ـ ثورة عبد الكريم الخطابي : ـ

كان لعبد الكريم الخطابي اكثر من مبرر للقيام بالثورة ضد الاسبان . فقد اتسم حكم هؤلاء بالعجز وبالفساد والبطش . واكد احدهم على ذلك بقوله ، ان الاسبان ارتكبوا في المغرب اعمال القسوة ذاتها ، التي كانت قد ادت الى طردهم من امريكا الجنوبية . (١١٥)

وقد ادت محاولة اسبانيا لاستكمال احتلالها للمنطقة الشمالية من المغرب الى تصعيد حركة المقاومة ضدها . وبرز الخطابي للتصدي لهذه المحاولة ، عقب وفاة والده ، الذي مات مسموماً بفعل مؤامرة دبرها الاسبان ضده ، بعد فترة وجيزة من اعلانه قراراً بخوض حرب ضدهم .

وبالنظر لنقص الاسلحة الذي كان يعاني منه الثوار ، فقد قرروا القيام بغارات فدائية ضد القوات الاسبانية ، للاستيلاء على اسلحتها . واخذ الثوار يحرزون انتصارات متتالية ، مما حمل الاسبان على حشد قوات كبيرة ضدهم .

١ ـ معركة انوال الشهيرة عام ١٩٢١ : ـ

اشتبك عبد الكريم الخطابي في معركة حامية ضد الاسبان في عام ١٩٢١ ، عرفت بـ (معركة انوال) . ونجح الخطابي خلالها في ابادة قوة اسبانية قدر عدد افرادها بحوالي خمسة الاف رجل ، وأصيب قائدها وهو الجنرال سلفستر بجروح وقد انتحر عقب ذلك . وبعث هذا الانتصار حماسة شديدة في نفوس ابناء الريف . فاخذوا يشددون هجماتهم ضد الاسبان ، ويكبدونهم خسائر جسيمة . وفي غضون خمسة ايام من القتال بين الثوار والاسبان ، بلغت خسائر الاخيرين (١٩) الف قتيل . وغنم الثوار كميات هائلة من الاسلحة الحديثة ، ونجحوا في تطهير مناطق واسعة من سيطرة قوات الاحتلال .

اسفرت الهزيمة الشنيعة التي منيت بها القوات الاسبانية على يد عبد الكريم الخطابي ، عن ردود فعل قوية داخل اسبانيا ، تمثلت في حدوث انقلاب عسكري فيها ، في ايلول عام ١٩٢٣ . وقد فكر رئيس الحكومة الاسبانية الجديدة بالتخلي عن المغرب ، لكنه عدل عن رأيه لخوفه من النتائج السيئة التي قد تترتب على عودة جيش جرار ، دون ان يكون هناك مجال لاشغاله . واستقر رأيه في النهاية على القيام باستعدادات ضخمة لمجابهة الثوار .

قرر الخطابي في صيف عام ١٩٢٤ ، شن هجوم عام ضد الاسبان . وكانت استعادة مدينة تطوان في مقدمة اهداف الهجوم . ونجحت قوات الخطابي في الوصول الى مشارف تطوان ، ولو انها لم تستطع اقتحامها . وعلى الرغم من ذلك ، افلح الثوار في احراز انتصارات عديدة في ميادين اخرى ، مما اضعف كثيراً من معنويات الاسبان ، مما اضطر رئيس الحكومة الاسبانية الى القدوم بنفسه الى تطوان للاطلاع على الموقف عن كثب . وقد انتهى هذا الى رأي مفاده ، عدم جدوى محاربة الثوار ، فامر القوات الاسبانية باخلاء حصن ششوان في تشرين الثاني عام ١٩٢٤ . وقد تكبد الاسبان خلال عملية الانسحاب خسائر كبيرة ايضاً .(١١٦) وارتدت القوات الاسبانية الى سبتة ، وتطوان ، والقصر الكبير ، حيث اقامت خطاً دفاعياً جديداً امتد من تطوان الى طنجة . واصبح الثوار قاب قوسين او ادنى من تحقيق الانتصار النهائي على الاسبان .(١١٧)

٢ ـ التعاون الفرنسي الاسباني المشترك ضد ثورة الخطابي : ـ

كانت الانتصارات التي حققها عبد الكريم الخطابي ضد الاسبان ، قد اقضت مضاجع الفرنسيين الذين كانوا يرون فيها تهديداً لامبراطوريتهم الاستعمارية في المغرب العربي ، بل في افريقيا بأسرها . وكانوا قبل ان يشتركوا فعلياً في الحرب الى جانب اسبانيا ، يروجون شائعات معادية ضد الخطابي ، في صفوف القبائل ، بل دبروا دسائس ضده . ولما ثبت عجز الاسبان عن القضاء على ثورة الخطابي ، اخذ الفرنسيون يناشدون حكومتهم على التدخل . فعلى سبيل المثال ، بعث المقيم الفرنسي العام في المغرب ، ببرقية الى حكومته بتأريخ ٢٣ تشرين الثاني عام ١٩٢٤ ، اخبرها فيها بامتداد الثورة الى المناطق المتاخمة للمغرب الفرنسي ، وبولاء سكانها للخطابي ، واضاف قائلاً : « إن الانتصارات التي احرزها الخطابي ، رفعت معنويات القبائل ، التي لم يكن قد تم اخضاعها بعد للسيطرة الفرنسية » . وحذر المقيم العام في برقية لاحقة من ان عبد الكريم الخطابي ، سوف لن يتردد في مهاجمة المغرب الفرنسي .(١١٨)

وازاء هذا كله ، وافقت الحكومة الفرنسية في منتصف كانون الاول عام ١٩٢٤ ، على بدء عمليات عسكرية ضد الخطابي . وتذرعت فرنسا لتبرير هذا القرار بحجة ان الخطابي هاجم بعض المناطق التي تقع تحت النفوذ الفرنسي . وحقيقة الامر ان فرنسا هي التي بدأت باستفزاز الخطابي . إذ كانت تحرض شيوخ الطرق الدينية على اثارة الاضطرابات في منطقة الريف ، وتمدهم بالاموال وبالاسلحة . وكمثل على هذا قام شيخ الطريقة الدرقاوية بتحرشات ضد قوات الخطابي . فما كان من الاخير إلاّ أن شن هجوماً ضده . واستغلت القوات الفرنسية هذه الفرصة فدخلت القتال الى جانب قوات الدرقاوي ، وقامت باحتلال بعض المناطق التابعة للخطابي .

وهكذا غدا الخطابي في حالة حرب ضد فرنسا واسبانيا في آن واحد . وقاتلت قواته الجيوش الفرنسية بنفس البسالة التي كانت تقابل بها الجيوش الاسبانية ، فاستولت على الكثير من قواعدها ، وغنمت كميات كبيرة من اسلحتها .(١١٩)
وصمد الثوار بوجه جيوش الدولتين الاستعماريتين حتى مايس عام ١٩٢٦ .

استسلم عبد الكريم الخطابي
للفرنسيين في ١٩٢٦/٥/٢٧
ونفي الى جزيرة ريونيون في المحيط الهندي

٢ ـ اخماد ثورة الخطابي :ـ

اخذ الوهن يدب في صفوف الثوار. فقد نجحت فرنسا واسبانيا في اغراء بعض من القبائل على التخلي عن الثورة مقابل دفعها الاموال لهم. كما افلحت الدولتان في حمل ملك المغرب على اعتبار الخطابي بمثابة متمرد على السلطة. اضافة الى انتشار المجاعة في منطقة الريف بسبب انحباس الامطار طيلة سنوات الثورة، فضلاً عن الاعياء الشديد الذي اصاب الثوار جراء استمرارهم في الثورة مدة تزيد عن خمس سنوات، ومشاركة فرنسا في الحرب ضدهم الى جانب اسبانيا. ويكفي للتدليل على ضخامة القوات التي واجهها الثوار، إذا علمنا ان الدولتين استعانتا بثلاثة مارشالات، واربعين جنرالاً، وقوة تقدر بنصف مليون جندي، علاوة على استخدام (٤٤) سرباً من الطائرات المقاتلة.(١٣٠) واستسلم الخطابي الى القوات الفرنسية في ٢٧ مايس عام ١٩٢٦، ونُفي الى جزيرة ريونيون الواقعة في المحيط الهندي، بالرغم من الوعود التي قطعتها له السلطات الفرنسية في ضمان حريته. ومكث الخطابي في منفاه حتى عام ١٩٤٧، عندما طلب حق اللجوء الى مصر، بينما كان في طريق عودته الى المغرب.(١٣١) وكما اشرنا الى ذلك من قبل.

ب ـ استئناف النشاط السياسي الوطني :

ما ان انتهت ثورة عبد الكريم الخطابي في عام ١٩٢٦، حتى تحولت الحركة الوطنية الى النشاط السياسي. إذ اسهم وفد من تطوان، وهي من اهم مدن المنطقة الشمالية، مؤلف من عضوين في الاجتماع الذي عقدته جمعية (حماة الصدق) في مدينة الرباط في عام ١٩٢٦. كما تأسست جمعية في تطوان على غرار جمعية (حماة الصدق). وحينما تأسست كتلة العمل الوطني في المنطقة الجنوبية (اي المغرب الفرنسي) في عام ١٩٢٩، كان بين اعضائها، عضوان يمثلان المغرب الاسباني.

استمر العمل المشترك بين الحركة الوطنية في المنطقتين الفرنسية والاسبانية حتى صدور مرسوم الظهير البربري في عام ١٩٣٠. ففي اعقاب المظاهرات التي تلت صدور المرسوم، وما ادت اليه من اعتقال معظم رجال الحركة الوطنية في المنطقة الجنوبية، تقرر تشكيل حركة وطنية مستقلة في المنطقة الشمالية. وغدت تطوان مركزاً رئيساً لنشاطها.

سافر وفد يمثل الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية الى مدريد ، بعد اعلان النظام الجمهوري في اسبانيا في عام ١٩٣١ . وقدم الوفد جملة من المطالب الى الحكومة الاسبانية . كما رفعت المطالب نفسها الى السلطات المحلية في المنطقة . وتوالت الاتصالات بين الحركة الوطنية في المنطقتين عن طريق اللقاءات التي كانت تتم بين ممثليهما في خارج المغرب ، وكذلك عن طريق تسرب المطبوعات التي تصدر في المنطقة الشمالية ، الى المنطقة الجنوبية ، حيث تجد اقبالاً عليها . اخذت الحركة الوطنية تواجه مقاومة متزايدة من السلطات الاسبانية منذ اواخر عام ١٩٣٤ . إذ فرض الاسبان في هذا العام حظراً على نشاط الحركة الوطنية ، في اعقاب برنامج الاصلاحات الذي اعدته الحركة الوطنية في المنطقة الجنوبية ، والذي أيدته الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية .

وفي عام ١٩٣٥ ، اعدت الحركة الاخيرة خطة عمل جديدة لمواجهة سياسة الكبت التي كانت تستخدم ضدها .

ج ـ اثر الحرب الاهلية في اسبانيا في الحركة الوطنية : ـ

اتاح نشوب الحرب الاهلية في اسبانيا في عام ١٩٣٦ ، مجالاً اوسع للعمل امام الحركة الوطنية . فقد وعد فرانكو ، الذي كان قد تزعم تمرداً ضد الحكومة الاسبانية في عام ١٩٣٦ ، الحركة الوطنية بالاستجابة لبعض من مطالبها ، فيما اذا لم تعارض خطته في التحاق ابناء المغرب بقواته . وسمح بالفعل باصدار عدة صحف وطنية جديدة .

ادركت الحركة الوطنية في المغرب الاسباني ، وفي المغرب الفرنسي تعذر استمرار العمل المشترك بينهما بصورة علنية . وبعد مشاورات قصيرة الامد بينهما ، استقر الرأي على تشكيل حزبين منفصلين يعمل كل واحد منهما على تحقيق برامجه ضمن منطقته ، بشرط عدم الاخلال بالمبادي الرئيسية ، كتحقيق الاستقلال ، وصيانة وحدة المغرب ، والمحافظة على الولاء لملك المغرب . على ان الحركة الوطنية في المنطقة الشمالية (المغرب الاسباني) ، سرعان ماعانت من انشقاق تجسد في ظهور حزبين جديدين وهما ، حزب الوحدة المغربية ، وحزب الاصلاح . وقد خدم هذا الانشقاق الاسبان ، إذ عمدوا الى الوقيعة بين الحزبين .

وقد ثبت للحركة الوطنية ان الثقة التي اولتها لفرانكو ، لم تكن في محلها ، لان الامتيازات التي كان يمنحها لها ، كانت تحد منها السلطات المحلية في المغرب .(١٣٢) وفضلاً عن ذلك لم يقم فرانكو بعد انتصاره في الحرب الاهلية في اسبانيا في عام ١٩٣٩ ، باية اعمال لصالح الحركة الوطنية في المغرب الاسباني . وكان كل ماقام به هو استحداث وزارة للاوقاف ، واسنادها الى احد المغاربة . وبنائه مسجداً جديداً في سبتة ، وسماحه بتأسيس (بيت المغرب) في القاهرة ، وهو مركز للطلبة المغاربة الذين يتلقون تعليمهم في مصر .(١٣٣)

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية ، تخلت اسبانيا عن سياسة المجاملة الصورية ، التي كانت قد ارادت بها تهدئة الحركة الوطنية وخداعها . فلجأت الى حل الاحزاب ، واحكمت قبضتها على المغرب الاسباني ، وفتحت ابواب الهجرة اليه بوجه مواطنيها .(١٣٤)

د ـ الحركة الوطنية عقب الحرب العالمية الثانية :ـ

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، غيرت اسبانيا سياستها بعض الشيء تجاه الحركة الوطنية . فسمحت في عام ١٩٤٦ ، لوفد من المغرب الاسباني بزيارة القاهرة للمشاركة في اعمال اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية . كما رفعت في العام نفسه الحظر على نشاط حزب الاصلاح . وقد حضر مندوب عنه اجتماعاً عقده حزب الاستقلال في الرباط في ايلول عام ١٩٤٦ ، لدراسة الموقف السياسي . وقد تعهد حزب الاصلاح في الاجتماع بأن يتخلى عن سياسته القائمة على الحصول على الامتيازات ، وشدد على المطالبة بالاستقلال . وكانت اسبانيا تحس بالقلق جراء نمو الوعي الوطني في المغرب الاسباني فحاولت ترضية الحركة الوطنية عن طريق اجراء بعض من الاصلاحات الادارية .

وقد ازدادت مخاوف اسبانيا على اثر الزيارة التي قام بها الملك المغربي الى طنجة في عام ١٩٤٧ . فعمدت الى ايقاف الصحف الوطنية عن الصدور ، وفرضت غرامات كبيرة على حزب الاصلاح .(١٣٥)

وحدث في مستهل عام ١٩٤٨ ، ان وصل رئيس حزب الاصلاح الى طنجة ، بصحبة رئيس الوفد المغربي الى الجامعة العربية ، وكانا في طريقهما الى تطوان .

غير ان السلطات الاسبانية منعتهما من دخول تطوان . وغضب الشعب على هذا التصرف ونظم مظاهرات احتجاجية في تطوان . وعندها أمر الحاكم الاسباني الجيش بالنزول الى المدينة . واتخاذ مواضع له فيها . وألقي القبض على جميع اعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاصلاح ، وزُجَّ بهم في المعتقلات العسكرية . حيث تعرضوا الى اعمال تعذيب شديدة ، ادت الى استشهاد بعضهم ، وتشويه البعض الآخر . وعم الهياج المنطقة الشمالية بأسرها ، مما زاد في بطش الاسبان .(١٣٦) واضطر حزب الاصلاح الى العودة الى مزاولة نشاطه سراً .

د ـ ميثاق طنجة : ـ

وحيال تصاعد موجة القمع ضد الحركة الوطنية في كل من المغرب الفرنسي ، والمغرب الاسباني ، استقر رأي الاحزاب الوطنية في كلتا المنطقتين على ضرورة نبذ الخلافات بينهم ، وتأسيس جبهة وطنية ، وبحضور وفد عن جامعة الدول العربية وقع حزب الاستقلال ، وحزب الشورى والاستقلال ، وهما من احزاب المنطقة الجنوبية ، وحزب الوحدة المغربية ، وحزب الاصلاح ، وهما من احزاب المنطقة الشمالية ، على اتفاق في نيسان عام ١٩٥١ ، نص على تأسيس جبهة وطنية موحدة ، تعمل على المطالبة بالاستقلال التام للمغرب . وقد عرف هذا الاتفاق باسم (ميثاق طنجة) .(١٣٧)

ومن غير شك ، انتاب الاسبان قلق شديد جراء تأسيس الجبهة الوطنية ، وخافوا من ان يفلت زمام الامور من ايديهم ، فلجأوا الى رفع بعض القيود عن الحركة الوطنية ، فسمحوا من جديد لحزب الاصلاح ، وحزب الوحدة المغربية ، بمعاودة نشاطهما ، ولو ان الحزب الاخير كان قد ضعف الى حد كبير .

غدا المغرب الاسباني في اعقاب نفي فرنسا الملك المغربي في عام ١٩٥٣ ، قاعدة للمقاومة المسلحة في عموم المغرب ، ومركزاً لقيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ، مما دفع باعداد كبيرة من ابناء المغرب الفرنسي الى الالتحاق بالمغرب الاسباني .

وقد منحت السلطات الاسبانية ، رجال الحركة الوطنية وللمرة الاولى في تأريخها ، حرية التنقل بين قبائل الريف ، وكان غرض هولاء الرجال حث القبائل على الانخراط في صفوف المقاومة .

كانت الحركة الوطنية قد اعتمدت خطة من شأنها تصعيد نشاطها بحيث يصل الى ذروته ، عندما تدخل المفاوضات المغربية ـ الفرنسية مرحلة حاسمة وفوجئت اسبانيا برضوخ فرنسا لمطالب الحركة الوطنية في المغرب الفرنسي في اوائل عام ١٩٥٦ . وقمع الاسبان بشدة المظاهرات التي انطلقت في تطوان في آذار عام ١٩٥٦ ، تأييداً للاتفاق المغربي ـ الفرنسي . وقد كشف موقف اسبانيا هذا عن زيف سياستها وتناقضاتها . فهي لم تقابل بالارتياح حصول المغرب على الاستقلال ، في الوقت الذي كانت تدعي فيه صداقتها للعرب . ولم يجد فرانكو الذي اذهله قرار فرنسا بمنح المغرب الاستقلال ، بدأ من ان يحذو حذو فرنسا .(١٢٨) فسارع الى دعوة الملك المغربي لزيارة اسبانيا . ولبى الملك الدعوة ، فسافر الى مدريد في ٤ نيسان عام ١٩٥٦ ، ونجح في عقد اتفاق مع اسبانيا في ٧ نيسان من العام نفسه ، نص على انهاء الاحتلال الاسباني للمنطقة الشمالية .(١٢٩)

٢ ـ الوضع السياسي الخاص في طنجة : ـ

انفردت طنجة دون سائر المغرب بوضع خاص بها منذ عام ١٩٢٣ وحتى حصول المغرب على الاستقلال . ويرجع سبب هذا الى موقع طنجة الجغرافي على مقربة من مضيق جبل طارق ، والى تشابك مصالح دول اوربية عديدة في طنجة ، لاسيما بريطانيا التي كانت تنظر اليها باعتبارها قاعدة استراتيجية ومحطة للتموين .

وقد حاولت كل من فرنسا واسبانيا الانفراد بالسيطرة على طنجة عقب الحرب العالمية الاولى ، لكن مصير طنجة لم يتقرر إلا في عام ١٩٢٣ ، عندما انعقد مؤتمر في لندن في عام ١٩٢٣ ضم فرنسا واسبانيا وبريطانيا أتفق فيه على تأسيس نظام دولي لادارة طنجة .

ونص الاتفاق المذكور على حياد طنجة الدائم ، وألاّ تقام فيها أية منشآت عسكرية ، والاّ ترابط فيها اية قوات من اي نوع كان . وان تكون السلطة العليا في طنجة بيد مندوب يعينه ملك المغرب . وان تؤسس في طنجة هيئتان ، الاولى وهي المجلس التشريعي ، وكان يتألف من (٢٦) عضواً . (٩) منهم من المغرب ، والباقون من الاجانب ، وتكون رئاسة المجلس بيد مندوب الملك ، ويساعده اربعة نواب احدهم فرنسي والثاني اسباني والثالث بريطاني . والرابع ايطالي .

اما الهيئة الثانية فهي الادارة الدولية ، وكانت تتألف من قناصل كل من بلجيكا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وهولندا والبرتغال واسبانيا . وتتمتع هذه الهيئة بحق نقض قرارات المجلس التشريعي ، بل حتى حل المجلس . (١٣٠)

وقد أُجري تعديل على هذا النظام في عام ١٩٢٨ ، وبموجبه مُنحت ايطاليا امتيازات مماثلة لتلك التي تتمتع بها بريطانيا .

اغتنم فرانكو فرصة نشوب الحرب العالمية الثانية لاحتلال طنجة ، والغاء النظام الدولي فيها ، لكن فرانكو أُجبر اخيراً على سحب قواته من طنجة في تشرين الاول عام ١٩٤٥ ، بعد الانذار الذي اصدرته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ، وأُعيد على اثره العمل بالنظام الدولي في طنجة . (١٣١) بعد ادخال بعض التعديلات عليه كاضافة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى عضوية الادارة الدولية . وقد اشتركت الاولى فعلاً في الادارة الدولية ، لكن الاتحاد السوفيتي احجم عن ارسال ممثل عنه اليها .

وأُجريت تعديلات اخرى على نظام طنجة الدولي في عام ١٩٥٢ ، اشتملت على انشاء قوة خاصة من الشرطة ، تحت امرة اسبانيا ، اضافة الى قوات الشرطة الاعتيادية التي انيطت قيادتها بضابط من احدى الدول الصغرى . وكذلك تعيين مسؤول بريطاني لادارة شؤون الامن ، كما أُستحدثت لجنة خاصة بمراقبة الشؤون المالية . (١٣٢)

وبعد حصول المغرب على الاستقلال ، اعلنت الدول الثمانية الاعضاء في مجلس الادارة الدولية الغاء الادارة الدولية في طنجة ، واعيدت طنجة الى المغرب في ٢٩ تشرين الاول عام ١٩٥٦ (١٣٣)

د ـ موريتانيا

مقدمة : ـ

بدأ اهتمام فرنسا ببسط سيطرتها على موريتانيا منذ عام ١٨٥٠ ، وكان الفرنسيون قد انشأوا مراكز تجارية على طول نهر السنغال . وتعرضت هذه المراكز الى العديد